ضد ماركس

قراءة في الموقف الفلسفي المعاصر من التصور المادي للتاريخ

نادراً ما يدنو الصدأ الى الافكار العظيمة، ومحال ان يعتليها واذا ما اقر التاريخ نهايتها فانها تموت كما الاشجار... واقفة. ان للافكار الكبرى جذوراً تتمثل في عقل فذ، وعمق فلسفي تستند اليه وتستمد منه الحياة وتتنفس من خلاله عبق المستقبل، وهذا تحديداً ما يجعل منها خالدة، ابدية. فكيف اذا كان هاجسها الحركة والتطور والنقد الذاتي، لقد كان لماركس هذا العقل الفذ، ولافكاره العمق الفلسفي الذي تستند اليه، مستمدة منه عبقريتها ورصانتها وقدرتها على مقاومة الصدأ وكل محاولات التصفية الايديولوجية والالغاء التي مورست بحقها منذ قرنين او اكثر.

علاء جواد كاظم

محقا اكان فخته عندما قال: "لكي تعرف انسانا ما، تعرف على فلسفته" ان محاولة التعرف على ماركس تتضمن، بشكل او بآخر، كشفاً عن عمق فلسفته التي كان التصور المادي للتاريخ يحتل منها مساحة ما. حاول اغلب الفلاسفة ان يرفع راية جنونه وفلسفته فيها دون جدوى لقد كانت عصية، كما كانت عبقرية كارل ماركس تتجلى في كل مؤلفاته، ابتداءً من (مخطوطات 1844 الاقتصادية) او (بؤس الفلسفة) او (نقد الحق عند هيغل) او (مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي) او (البيان الشيوعي)، وحتى في مراسلاته قبيل وفاته. تثير تلك الدهشة والحيرة كثيراً ازاء انتقالاته وتحولاته وكتاباته التي يختلف فيها جذرياً بين كتاب وآخر، بل بين سطر وآخر. ولا نعرف ما اذا كان هذا يجسد صراعاً ذاتيا اسس، وفقا له، نظريته في الصراع الطبقي في المجتمع الانساني برمته، ام هو تناقض جوهري واسلوب خاص بالتفكير؟ ولربما كان نموذجا للعقل الجدلي في التحليل الفلسفي او السوسيولوجي وبين هذا المؤلف او ذاك الكتاب لاندري ايا منهم كان ماركس الحقيقي: هل هو ماركس الشاب ذو المخطوطات الفلسفية الشابة والثائرة والرافضة لكل مظاهر استلاب الانسان وتغريبه او نزع حقيقته عنوة بينما كان معجبا ايما اعجاب بفلسفة استاذه هيغل، ام ان ماركس هو من اثار عاصفة واعاصير في نقد فلسفة الحق عند هيغل ونسفها بغير رحمة؟ هل كان ماركس البيان الشيوعي، الذي كان يقرع عقلنا في كل فقرة منه تصور او رؤية نشوئية للتاريخ وصراعا او انتحارا طبقيا ذا طابع ذاتي فريد؟ ام انه الطيف الذي قفز على التاريخ والازمنة، وعلى انقاض المجتمع البرجوازي المتآكل لتأسيس المجتمع النقيض؟

لقد شكل التصور المادي للتاريخ تصورا مركزيا في الفلسفة الحديثة برمتها، منذ ديكارت، وانتهاء بدريدا، وملأت فلسفته منعطفا وتحولا تاريخيا في سلوك العقل الفلسفي تجاه العالم والانسان، محولا اياه من وهم قراءة الذات والتسكع في مقاهي ميتافيزيقيا العقل الى فيزيقيا العالم والواقع والمجتمع بكل اشكاله وتحولاته وخفاياه.. في اطروحاته حول فيورباخ قال ماركس: "ليس المهم تفسير العالم، ولطالما كان هذا شغل الفلاسفة الشاغل، بل ان الامر الاكثر اهمية هو تغييره. واذا كان جورج زمل قد صنف الفلسفة الى مجموعة اصناف: ينصب صنف منها الى (ذات الاشياء)، وآخر ينصب فقط الى (الانسان)، فيما كان صنف ثالث ينصب الى (المفاهيم) واخيراً، من الاصناف الفلسفية صنف لم يكن يستمع او ينصت الا الى (النصوص)، فان ماركس كعادته خرج على هذا التقليد الفلسفي مؤسسا نموذجا من الفلسفة الكلية يمكننا ان نعثر فيها على شكل ما لكل من هذه الاصناف الفلسفية. يقول انجلز في رسالة الى بلوخ عام 1890: ان التصور المادي للتاريخ هو في التحليل الاخير انتاج واعادة انتاج للحياة الواقعية، ولم نجزم انا وماركس، قط، اكثر من هذا، فاذا شوه احدهم هذا الموقف معتبرا ان العامل الاقتصادي هو العامل المحدد الوحيد فهو يجعل منه جملة فارغة مجردة، عابثة. ان الوضع الاقتصادي هو القاعدة، ولكن مختلف عناصر البنية الفوقية تفعل فعلها في مجرى الصراعات التاريخية وتحدد شكله بطريقة بارزة ومسيطرة في حالات كثيرة. كما ان العامل التاريخي حالما تنتجه ظواهر اقتصادية اخرى يصبح مؤثراً بدوره، فيؤثر في محيطه وحتى في الاسباب التي انتجته" وبهذا، فان ثمة مجموعة من المبادئ الكلية الصارمة التي تحكم التاريخ في هذا التصور الفلسفي، يكمن الاول منها في رؤية الوجود الانساني على انه مستلب وغير حقيقي، الا انه واقع مستقل عن ارادتنا، فالانسان في المجتمع، وخاصة الرأسمالي، محروم من كيانه، مستلب، وشخصية البروليتاري فيه (متقطعة) بتعبير ماركس نفسه، وفي معادلة الوجود البرجوازي المغترب، يخضع الرأسمالي نفسه لقوى اجتماعية غير ذات قدرة في السيطرة عليها. انه موظف لدى رأس المال ولا يستطيع الا ان يقلب الانتاج باستمرار. ليصبح الافراد مجرد تجسيد لفئات الاقتصادية ودعائم تتبلور فيها علاقات طبقية والمصالح الخاصة لطبقة. ويؤكد ماركس ان الاستلاب الذي يصيب شخصية الانسان في المجتمع الرأسمالي باكثر اشكال التمزق عمقا ودواما "ليس نتيجة المؤامرة من قبل الاقوياء كما نظن للوهلة الاولى، بل انه الاثر المتبقي من التصرفات الناشئة عن علاقات الانتاج التي يعانيها النظام الرأسمالي". للوهلة الاولى يبدو هذا المبدأ متفائلا، الا انه واقعي، بل هو محكوم بقوانين الانتاج الرأسمالي نفسه، وهذا ما يؤكده ماركس نفسه عندما يحدد ظاهرة (الاستلاب) بأنها "الاثر الضروري لبعض البنى او التشكيلات الاجتماعية التي يكون لها، على الرغم من كونها نتاج الفعل الانساني، اثر جعل الانسان غريبا عن نفسه ونتائج افعاله منحرفة وربما معاكسة بالنسبة لمقاصده ورغباته وحاجاته". من هنا، يحدد ماركس تصوره النهائي عن تاريخ العالم بشكل يثير سخط الجميع جراء واقعيته.

ان بنية التنافس التي يفرضها نظام الانتاج الرأسمالي، هي ذاتها النتاج الحقيقي للطبقات ومجمل القوى الاجتماعية التي تسيطر وتحدد مصير الفرد. هذه القوى، رغم انها مستقلة في وجودها عن وجود الفرد وغير مرتبطة ببناءاته الذاتية، لا وجود لها الا من خلال هذا الفرد وبواسطته، وبالتالي، فان الناس هم وحدهم من يصنع التاريخ، حتى لو لم يعرفوا انهم يصنعونه، او كان التاريخ الذي يصنعون ليس التاريخ الذي يريدون صنعه. يشير ماركس في اغلب كتاباته الى التحول والتقدم في تصوره المادي للتاريخ الذي لا يمكن ان يفسر خارج اطار الصراع الطبقي، فالمهم ليس ما يفكر به هذا البروليتاري او حتى ما تتصوره البروليتاريا كلها كهدف لها في الوقت الحاضر وفق التصور المادي للتاريخ، بل ما يضطرها التاريخ الى صنعه. ان هدفها وعملها التاريخي مكتوب بشكل نهائي في وضع حياتها نفسه، وفي نظام المجتمع البرجوازي المعاصر كله. فثمة هنا مبدأ آخر يتمم من خلاله ماركس دائرة السيرورة التاريخية وفق تصوره الفلسفية، حيث ينتهي صراع الطبقات وبالتالي صراع الافراد، وكل المصالح المتناحرة في الوجود الاجتماعي، وبالتالي تقتضي ظاهرة الاستلاب نحبها، ثم يزول التناقض الى مركب جديد. وهنا يجري ماركس تغييراً جذرياً على فلسفة الحق عند هيغل، فهنا المركب الجديد هو مجتمع خال من الطبقات المتقاتلة غير ان هذا التحليل دفع بالكثيرين لسقوط في هاوية التفسير الميتا- ميكانيكي، وبالتالي جعلهم بالضد من ماركس وما لا شك فيه ان التناقض معبراً عنه بصراع الطبقات يتسرب في المركب الجديد الى مستويات اخرى من بناءات المجتمع ومفاصل قد لا تكون بالضرورة طبقية. يعني ان نهاية صراع الطبقات لاتنهي التناقض ابداً، بل يتوغل وتبدا لعبة الصراع من جديد باعتبار ان التناقض قانون نهائي. يقول ماركس: "ان الانسانية تستعيض عن الملاحظة النقدية بالتزمت، وعن الموقف المادي بموقف مثالي. انها تعتبر ارادتها الخاصة العارية كالقوة الدافعة للثورة بدلا من وقائع الوضع الحقيقية. بينما نحن نقول للعمال: يجب ان تعانوا خمسة عشر، عشرين، خمسين عاما من الحرب الاهلية، ليس بغية تحويل الاوضاع الموجودة بل لتحويل انفسكم، وكي تصبح هذه الانفس مؤهلة للاستيلاء على السلطة. فانتم على العكس، تقولون لهم يجب عليكم الاستيلاء على السلطة راسا، او انهيوا وناموا. انكم تتحدثون بخشونة مشاعرهم القومية واهوائها الطبقية. وهذا موقف شعبي اكثر، فكما صنع الديمقراطيون من كلمة (شعب) كائنا مقدسا، فانتم تصنعون تماما الشيء نفسه من كلمة (البروليتاريا).

والمبدأ الآخر الذي يجسد مساهمة ماركس الاساسية في تحليله لفلسفة البنيان العلوي الايديولوجي وعلاقة هذا البنيان بما سماه (الاسس الحقيقية) للمجتمع، التي هم نظام الانتاج والعلاقات الاجتماعية المتداخلة هو تأكيده ان "ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل العكس ان وجودهم هو الذي يحدد وعيهم الاجتماعي" وبهذا يقرر اصل البنى الايديولوجية والقانونية والسياسية والدينية والفلسفية، التي لا يمكن النظر اليها في ذاتها دون اعتبار للعلاقات المتداخلة التي قد تنشأ خلال مرحلة من التطور الاقتصادي، وهي في نهاية الامر انعكاس معقد لتحول علاقات الاقتصاد. هذه بعض من الملاحظات عن النموذج الفلسفي الماركسي، تجعل منه نموذجا خارجا على تاريخ واشكال الفلسفة الغربية الاخرى. ان ماركس يؤكد استحالة التكيف مع السقوط، وهذا يجعل منه باحثا عن الانقلاب والتغيير (لا يعرف التعب) حسب تعبير روبل، وهو ما كان وراء تبني ماركس تصوراً انقلابيا او تغييرياً قبالة واقع اجتماعي قائم على احتكار وتشيؤ الانسان، ووهم حضارة قائم على مبدأ نهب الطبقة العاملة والفقيرة، او ما يسمى بمبدأ (فائض القيمة) ومن الطبيعي ان تصوراً كهذا يصبح مغايراً ومتمايزاً عن الاعتقادات السائدة في الفلسفة الغربية آنذاك، التي كانت مشبعة بوضعية اوكست كومت وفلسفته السكونية التي كانت تستهدف تأكيد إيجابية الواقع الاجتماعي آنذاك ضد اولئك الذين اكدوا الحاجة الى نفيه. هذه المغايرة الماركسية في تفسير التاريخ والعالم جعلت كل ما يسمى اليوم (الخطاب الفلسفة الغربية) تطلق احكاما جزافية ضد ماركس وفلسفته التي اقصيت واهملت ولاقت من التهميش الشيء الكثير بسبب ما شكلته ايديولوجيته من خطر على الحضارة الغربية المعاصرة. وإذا كان الفلاسفة التقليديون قد وقفوا ضد ماركس لأنه كان انقلابيا، فإن هذه الملاحظة لم تكن خافية على ماركس نفسه، ففي رسالته التي بعث بها الى ب. ف. انينكوف في بروكسل بتاريخ 28 ديسمبر 1846 قال "ان ذات المشكلة تتكرر مع حزبنا، فانه ليس فقيراً فحسب بل ان قسما كبيراً من الحزب الشيوعي الالماني يشعر بالغضب عليّ لمعارضتي يوتوبياتهم وكتاباتهم الخطابية". الا ان موقف الفلسفة المعاصرة كان غريباً جداً ومثيراً للدهشة، فبينما اعلن البعض حرباً لا هوادة فيها على ماركس، كان آخرون يدافعون بشراسة عنه في نفس الوقت الذي يتحينون فيه الفرص للانقضاض عليه ولو بطقوس رمزية طوطمية. لقد شخص شوبنهور هذا بتهكم حين قال: "ان كل فيلسوف يظهر يتصرف كأنه سلطان جديد، واول ما يقدم عليه هو الحكم على إخوانه الفلاسفة بالإعدام" بينما وقع بعد ذلك في نفس خطأ من وجهه القوم لهم حينما قال: "ان اناسا من امثال نيتشه وشبنغ وهيغل يجب ان يطردوا من مملكة الفلسفة، كما طرد السفلة والتجار ومحتكري المال من معبد اورشليم".

ظل ماركس إذن فريسة الفلاسفة ابدا، وفي كل العصور طوطم الفلاسفة، وجرت العادة عندهم في هذا العصر ان يقدموا انفسهم او صورتهم او حتى فلسفتهم في إطار صورة اكثر تأثيراً ونجومية منهم. ومن الطبيعي ان يكون الإطار الاكثر نجومية وتأثيراً في عصرنا هذا هو التصور الماركسي الجدلي للتاريخ. الفلسفة التي لا يمكن تخطيها في زمننا، وهذا جزء من الحقيقة، كما قال سارتر: "ان العقل الجدلي وحده القادر على فهم التاريخ ومجراه نظرياً وعملياً"، وذلك في سياق رده على الهجوم الذي تعرضت له التاريخية الماركسية من قبل كارل بوبر في كتابه (بؤس التاريخية)، او كما الحال عندما يقول جاك دريدا: "انا ماركسي" وان "ماركس اخطر الفلاسفة على الإطلاق واشدهم التباسا في القراءة والتأويل"، "وان ماركس فيلسوف كبير وعظيم"، وان تفكيكيته هي نوع من انواع الماركسية الحديثة. والغريب ان البعض صدق ذلك وذهب الى اعتباره بديلاً حقيقيا لماركس، واعتبار تفكيكيته بديلا اكثر جدوى من الجدلية ففي كتابه (بيان الأطياف) الذي يعده قراءة معمقة لكتاب دريدا (اطياف ماركس) يسجل نديم نجدي اصلا عنوانه عبارة غريبة الأطوار، يبدو انها تفكيكية هي الأخرى: "اما وقد مات ماركس، دريدا مازال حيا" الفيلسوف الجديد دريدا يؤكد: "انا ماركسي، ولست ماركسيا" لأنه يؤمن بالقطائع المعرفية في النسق الماركسي، إذ انها كل يتجزء ويتفكك. يكتب نجدي متفائلا: "لقد تماهى دريدا، بأخطر شبح من اشباح ماركس، فاستدعاه والتصق به، فكانت تفكيكيته منهجا لاحقاق القمعي" إن دريدا يعمل جاهدا لاستنطاق ماركس مع جمع اشباح الموت، والحقيقة ان دريدا نجح نجاحا باهراً باستنطاق تفكيكيته المستهلكة وتمريرها وما الحقها من شهرة غريبة، وليتصور احدنا ماذا سيبقى من تفكيكية دريدا إذا ما استقطع ارضيا النبض الفلسفي الماركسي منها.

اما الفيلسوف روجيه غارودي فادعى انه آخر اصالة العقود الماركسي وإن ماركسيته اصيلة لا يشوبها زيف، ليمرر نموذجا فلسفيا مسخا خليطا من برجوازية مقيتة وكنيسية مهشمة ولباسا ماركسيا مرقعا بالزيف والنتيجة كتابه (حفار القبور)، التي عدها اسوأ في القرن، كانه يتحدث فيه عن كيفية طهي العكرونة وليس تحليل تحولات النظام الراسمالية وديالكتيك العالم. اما اينو دوزي فانه في نفس الوقت الذي يرى في ماركس الحجر الأساس في بناء الفلسفة الغربية المعاصرة والأكثر جدوى فيها إلا انه في كتابه (جدلية علم الاجتماع بين الرمز والإشارة) ينقض على ماركس الفريسة من خلال ما يصوره ويقرأه عنه في كتاب (بؤس التاريخية).

اما س. رايت ميلز فكان افضل من ادرك اهمية الحوار النقدي مع الماركسية، بل كان واعيا ان الحوار مع شبح ماركس قد مهد الطريق لظهور ما اطلق عليه بالتراث الكلاسيكي في الفكر السوسيولوجي. إن ميلز (ماركسي بسيط)، وهذا الوصف اختاره هو نفسه، وهو يرى ان ليس ثمة علم اجتماع ذو قيمة من غير علم الاجتماع الماركسي، بينما يتبجح من جهة اخرى بكتابه (الخيال السوسيولوجي) كإحدى اهم إضافاته الفلسفية، والتسمية تسمية هزيلة لمحتوى مسروق من مواصفات الديالكتيكية على الإحاطة بالعالم وفهم قوانينه.

لاشك ان لماركس الأثر الكبير في كل من جاء إلى الفلسفة من بعده، وهذه حقيقة لا يمكن ابدا تجاوزها، فقد اثار النموذج الماركسي جدلا واسعا في الأوساط الثقافية والسوسيولوجية خاصة، كما تظهر تلك بحوث ماكس فيبر وباريتو وغتينا وموسكا وروبرت ميتشيل ودوركايم ومانهايم. والملاحظ ان هؤلاء المفكرين شيدوا على الاتجاهات السوسيولوجية والثقافية المعارضة لماركس وافكاره، وهذا ما يعترف به اينو روزي ليبريه نفسه من التأثر بماركس. كما كان لماركس الأثر الأكبر، بل النهائي في السنية دي سوسير وما انتج من بنيوية، وله الأثر النهائي في وجودية سارتر، باعترافه الصريح في اكثر من مناسبة، وله مساحة كبيرة من تجربة الوعي الذاتي لهوسرل او ما اشتهر فيما بعد بـ (فينومنولوجيا هوسرل) وبراكسيس غرامشي وأركيولوجية ميشال فوكو، ثم جاك دريدا وكتبة الهدم المنهجي للتصور الفلسفة الكلاسيكية في مركزية الوجود الإنساني التي صدقها على نفسه، وهابرماس الذي ناهض الماركسية محاولا كما يدعي (استعادة التصور الماركسي الأصلي للعلاقة الجدلية بين الشخص والشيء) في فلسفته هو. ويوثق بوتومور في كتابه (سوسيولوجيا ماركس) إن علم الاجتماع المعاصر كان اقرب إلى النموذج الذي اسس له ماركس من كل الجعجعة والزوابع (العلمية) التي اثارها اوكست كومت ثم اميل دوركهايم وباريتو وفيبر، التي اصبح سوسيولوجيا بمعنى ما، عبر صراع فكري مر مع شبح ماركس.

لقد كان ماركس عالما في الاجتماع وفيلسوفا كبيراً وسياسيا ومناضلا ثوريا، عانى كثيراً في حياته واعماله من التجاهل والإقصاء، إذ ان اغلب مؤلفاته وكتاباته لم تطبع الا حديثا، ولم يظهر المجلد الأول لأعماله الا عام 1927 عن (معهد ماركس - انجلز) في موسكو ولم يتمكن المعهد من نشر اكثر من 12 مجلدا من مجموع (42) مجلدا. والطريف في الأمر ان لينين لم يقرأ له إلا (8) مجلدات تعرف على اغلبها بلغتها الألمانية قبل ثورة اكتوبر عندما كان في ألمانيا ورغم ان ماركس كان عالما ومناضلا جريئا متحمسا ثوريا بإيمان المستقبل، فإن التأمل فيه لم يختزل العالم، كما لم يتوصل العالم فيه الى تقديم معطيات كافية للتأمل ليؤسس عمله على العالم، وربما كان هذا هو السبب الذي دعا ماركس إلى ان يعلن للافارغ إذا صدقت رواية انجلز بهذا الخصوص، إنه لم يكن ماركسيا: "ما هو مؤكد هو انني لست ماركسيا"، ولم يعتقد في يوم من الأيام ابدا نقاء الالتزام يكفي لضمان الوصول إلى الحقيقة. وهذا ما جعل البعض يواجه صعوبات التفسير التي اثارتها اعمال ماركس ورؤيته الخاصة جداً.

أيها المثقفون!
ثمة خيار خامس الآن

حسين محمد عجيل

على مدى اكثر من ثلاثة عقود من الاستنزاف المستمر لطاقة الانسان على التحمل، وبمخطط تدميري مؤطر بعناصر الموت، عمل النظام المنهار على تخريب الحياة العراقية الثرة في كل مفاصلها: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية... مستخدما كل وسائل الترهيب والترغيب الرخيصة في تثبيت مشروعه التجهيلي وفرضه كواقع، معتادا رفضه قمعا لأي تقاطع فكري معه، ومكتفيا من شراذم المنتفعين والمتفعين او المتكسبين (بتعبير عراقي عتيد) من حوله بدور ببغائي او بغائي - لافرق - هذا الدور المخزي التافه الذي وجد رواجا له في اجهزة النظام الدعائية باعتباره الخيار الوحيد المتاح امام العراقيين للعيش بسلام في وطنهم، ولو الى حين، كان في الوقت نفسه الخيار الوحيد المرفوض، من بين خيارات اربعة شريفة، وقاسية في آن واحد لمن كان يمتلك حصانة نفسية وفكرية من مثقفي العراق وكتابه وأدبائه ومفكريه وفنانيه وعلمائه وسياسييه، الذين جربوا تلك الخيارات الاربعة وفقا لظروفهم الذاتية في اطار الظرف الموضوعي العام:

فبين خيار المجابهة العلنية السافرة في ميدان مكشوف، التي تنتهي بالضرورة في كافة التصفية الجسدية، التي اصبح اصحاب النظام وكلابه يتفننون بها بمهارة لايحسدون عليها، وأمسوا يمارسونها علانية ويفاخرون باقترافها، بل ويصورونها على الاشرطة ليستمتع بمشاهدتها كبيرهم في السادية الذي علمهم القتل. وبين نفي طوعي لابد منه انقاد له آخرون ليجدوا انفسهم يخضعون لقوانين وقواعد جديدة في ساحات اخرى لصراع مفخخة بقنابل متنوعة، إذا احسنوا السير في مابينها تحقق ذاتها يمكن ان تنفجر لتقتل من يتبعهم من عناصر النظام ومخبريه، وليتمكنوا من اصابة قلب النظام بمقتل، بقاتلهم احياء لاتكلم افواههم ابد فترة.

وبين هؤلاء وهؤلاء، اختارت جماعتان غيرهما طريقين آخرين: الاولى نأت بنفسها عن الخوض في مستنقع النظام الآسن واختارت عزلة "لابد منها ايضا" متقمصة على الحياة في اضيق دوائرها الآمنة، فحافظت على نقائها آملة ان تنصفها اجيال لم تولد بعد.

اما الجماعة الثانية فاتخذت مقاعدها في سفينة النظام التي كثيرا مايزج من راكبوها الى الاعماق السحيقة لأيما زلل او وشاية او مزاح، مراهنة على ذكاء قد لا ينفع في لحظة ما، وحظ لا يمكن الرهان عليه، وارادت ان تحلق في فضاء يمتد فوق سجون السلطة ومؤسساتها لترى الموقف عن كثب، على أمل ان تستطيع تفكيك آلاتها المدمرة من الداخل، متحملة تساؤلات وتساؤلات في عيون محبة ترى غيوم النظام السود تغطي احيانا صفحاتها البيض النظيفة.

هذا ماكان بالأمس القريب، اما اليوم فهؤلاء جميعا بإزاء خيار خامس: انهم مدعوون للمشاركة في صنع الحياة وترتيب مفردات البيت العراقي الكبير، بعد ان تناثرت هنا وهناك ولكن في ضوء النهار هذه المرة. فليحزموا امتعتهم وليأتوا من كل فج عميق، وليخرجوا الى الحياة وليغرقوا سفينة البغاء.

فليتعارفوا ويتحابوا ويتحدثوا عن تلك الايام النحسات، فليستذكروا من غابوا، وليتكاشفوا بالحقائق التي يعرفون، كي لا تعود الغربان من جديد. ولكي يكون لهم رأي بالراهن السياسي للبلاد ومستقبلها، فيهيئوا ارضية فكرية عقلانية واجواء ممهدة، يضطر على إثرها ذوو العيون الزرق من الغرباء الحتفي الى حزم امتعتهم، والرحيل من حيث اتوا.